

## حرية العقيدة وعدالة الضرائب سبب إقبال الأقباط

### على الفتح الإسلامي لمصر

قدم له الشيخ علي عبد الباقي الأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية- واصفا إياه بأنه إضافة للمكتبة العربية الإسلامية لما فيه من معالجة لموضوعات اتهم الإسلام بسببها بالعنصرية، وفي مقدمة كتابه أوضح الدكتور نبيل لوقا بباوي مؤلف كتاب الأقباط. هل ساعدوا المسلمين في فتح مصر؟- يقع في ٢٢٨ صفحة من القطع المتوسط- أنه يناقش فترة فتح المسلمين لمصر ومدى حرية العقيدة في عهد هؤلاء الحكام ومقدار الضرائب التي كان المسيحيون يدفعونها مقارنة بما كانوا يدفعونه في حكم الدولة البيزنطية، والاضطهاد الديني الذي كان سائدا، وذلك من خلال سؤال رئيسي في الكتاب وهو لماذا ساعد الأقباط المسلمين على فتح مصر؟

أشار المؤلف في بداية الباب الأول إلى وحدة نسيج الشعب المصري منذ أقدم العصور واستعرض مراحل دخول المسيحية لمصر، وتناول أيضا حرية العقيدة في القرآن المسيحيين مؤكدا أن الإسلام يحمي حرية العقيدة لغير اتباعه يحمي حرية العقيدة لغير اتباعه واستشهد بآيات عديدة تدل على ذلك وتنتهي عن إكراه أي شخص على اعتناق الإسلام. وأما شكل هذه الحرية في عهد الرسول (ﷺ) فقد بينها المؤلف في كتاب الرسول إلى أهل نجران من المسيحيين فقد سمح نبي الله لوفا نصارى نجران بالصلاة داخل المسجد أثناء زيارتهم له وكان ذلك ظرفا خاصا يدل على تسامحه، بالإضافة أيضا إلى الأمان الذي منحه الرسول عليه الصلاة والسلام لأهالي أيلياء وجرباء.

وأما حرية العقيدة- كما جاء في الفصل الثاني- في عهد أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب- رضي الله عنهما- ففيه كان دينارا على كل شخص أرحم عشرين مرة من الضرائب الباهظة التي تحصل عليها الدولة البيزنطية وأثناء فتح بيت المقدس قام الخليفة عمر بن الخطاب بمنح الأمان لأهل بيت المقدس وهو نموذجا للتسامح مع الآخر واتباع لما ورد في القرآن والسنة وقام د. لوقا بتقنين هذا الميثاق العمري، وما فيه من إبراز لعظمة

الإسلام والحرية الممنوحة للمسيحيين فلا يكرهون على دينهم ولا يجبرون على ترك دينهم طبقا لقاعدة لا إكراه في الدين وبالنسبة للجزيرة التي تم فرضها على الأقباط عقب فتح المسلمين لمصر فكانت تعامل دينارين وهي ضريبة مقابل الانتفاع بالمرافق العامة التي تنشئها الدولة الإسلامية وكجزء من نفقات الجيوش التي تدافع عن المسيحيين، كما لم يكن يدفعها سوى ٧٥% من الأقباط لأنه يعفي منها النساء والشيوخ والأطفال وغير القادرين مما ترتب على ذلك مساعدة الأقباط للجيوش الإسلامية أثناء سيرها من العريش إلى الإسكندرية فقد كانوا يضمرون كرها وحقدًا لدولة البيزنطيين والسبب في ذلك ظلم الضرائب التي وصلت إلى خمس وعشرين نوعا وفرضوها لتغطية حروبهم الدائمة مع الدولة الفارسية ويضاف إلى ذلك الاضطهاد الديني الموجه للمسيحيين الأرثوذكس وهم غالبية أبناء مصر الأقباط ولذا تعهد الأقباط باستضافة المسلمين ثلاثة أيام إذا ما نزلوا عليهم حتى يرحمهم من ظلم الدولة البيزنطية.. ونفي أيضا الاتهام الظالم لعمر بن العاص بحرق مكتبة الإسكندرية لأن جميع الفتوح الإسلامية لم يكن بها أي أفعال مشابهة على الإطلاق.

وانتقل د... بباوي بعد ذلك لمناقشة الضرائب في الدولة الإسلامية والبيزنطية والمقارنة بينهما. فقد كانت كل الأقاليم الواقعة تحت الحكم البيزنطي في حالة من الضياع والفقر ترزح تحت ترسانة من الضرائب ولم يكن أهل البلاد خاصة في مصر الطبقة السفلى في النظام الاجتماعي بينما الطبقات العليا المكونة من الرومان ليس لهم إلا غرض واحد هو ابتزاز المصريين حتى آخر درهم، وهو ما يفسر مساعدة الأقباط المسلمين في فتح مصر، كما أن تقدير الضرائب كان يتم حسب ظروف الإمبراطورية في العام الذي تقدر فيه يضعها الإمبراطور مع مستشاريه وفقا للحروب التي ستدخلها الدولة أو نفقات العمران التي تحتاجها أو القصور التي سيبنها الإمبراطور لنفسه فوصلت الضرائب إلى خمس وعشرين نوعا في الدولة البيزنطية، وفيما يخض الضرائب في الدولة الإسلامية استعرض المؤلف النظام المالي لجمع الضرائب التي اختلفت جذريا عن الدولة البيزنطية.

محمد فتحي